نشأة الصحف في العراق (1869- 1908)

المرحلة الاولى \تاريخ الصحافة

نشأت الصحافة في العراق أول ما نشأت، حكومية تصدر بأمر منها وبأموالها وتحت توجيهها وأشرافها، وقد يكون هذا راجعا إلى سياسة السلطنة نفسها إزاء إصدار الصحف، وتعود هذه السياسة إلى أخريات حكم السلطان عبد المجيد (1839–1861) وأوائل سنين عهد السلطان عبد العزيز (1861–1876م) فقد استرعت انتباه السلطان الأول كثرة صدور الصحف العثمانية وتقدمها المستمر في القسطنيطينة.

اما في العراق فقد أختلف المؤرخون في ميلاد الصحافة في العراق ، فهناك رأي يقول أن ميلادها في العراق كان العام 1816 على عهد الوالي داود باشا الذي أنشأ جريدة تعرف بأسم (جورنال العراق) ولم يتفق المؤرخون على صحة هذا الإدعاء بسبب عدم العثور على نسخ من الجريدة تؤيد ذلك الرأي، بسبب عدم وجود مطابع إذ أَن أَول مطبعة انشئت في بغداد عام 1820 ، فضلا عن المطابع التي أخذت تنتشر على أيدي البعثات التبشيرية في العراق لاسيما في الموصل ، إذ أسس المبشرون الدومنيكان أول مطبعة حجرية كاملة عام 1859 قبل مجيء مدحت باشا إلى العراق ، كان العراقيون يومئذٍ لا يعرفون إلاّ الجرائد القليلة التي كانت تصل العراق من الخارج ولاسيما من اسطنبول التي ظهرت فيها أول جريدة رسمية باللغة التركية العام 1831 في عهد السلطان محمود الثاني وقد سماها "تقويم وقائع" ، وبسبب انتشار الأمية والجهل في تلك المدة وندرة المتعلمين كان أغلب القراء من الموظفين الذين يجيدون اللغة التركية ، لاسيما وان الجرائد التي كانت تصل من العاصمة العثمانية كانت باللغة التركية ، أما الصحف العربية فقليلة جداً ، وكانت

أبرزها جريدة "الجوائب" لأحمد فارس الشدياق اللبناني التي ظهرت لأول مرة في اسطنبول العام 1860 وكانت من أوسع الجرائد العربية تداولاً بين العراقيين.وعند قدوم الوالى مدحت باشا الذي جلب أول مطبعة حديثة للولاية وأصدر بذلك جريدة الزوراء

بدايات تأسيس ونشأة صحيفة الزوراء

عرف العراق الصحافة في عهد الوالي العثماني مدحت باشا عندما جلب مطبعة آلية من باريس سماها مطبعة الولاية ،وأمر بإصدار جريدة (زوراء) الرسمية ببغداد في15 حزيران عام 1869 ، ألا أن المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني يشير إلى تاريخ صدور العدد الأول كان في يوم الثلاثاء الموافق 16 حزيران 1869م، وكانت لسان حال الولاية لنشر الأخبار والأوامر والبلاغات.

وكانت تحرر باللغة العربية والتركية وتنشر في أعدادها المختلفة اخبار شؤون الولاية، والأنباء الرسمية،والمعاهدات ورسائل من مختلف أنحاء العراق،والمتصفح لأي عدد من أعدادها يجده مرتباً على النحو الآتي: أخبار داخلية وتحتل صدارة الصفحة الأولى وأخبار خارجية وأوامر سلطانية وكلمات ثناء على سياسة السلطان ، كما أنها لم تهمل السياسة الدولية وما يحدث من تغييرات فيها. وصدرت بأربع صفحات، صفحتان باللغة التركية، وصفحتان بالعربية وصدرت بالحجم المتوسط مقاس (43×27) ، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل ثلاثاء وبعد عام 1870 صدرت مرتين في الأسبوع (السبت والثلاثاء) ابتداءً بالعدد (126) ، وفي عام 1911 عادت للصدور مرة واحدة في الأسبوع.

أما أسلوب الجريدة في التعليق فكان ضعيفاً وركيكاً ، فضلاً عن الأخطاء الإملائية والنحوية والمطبعية العديدة، وكانت تخلط بين اللغة الفصحى والعامية حتى يتعذر على القارئ فهم ما يريد قوله الكاتب، لذا جاء القسم العربي منها متباينا في الأسلوب ، وعباراته مضطربة . أما الأسلوب الإخباري فكانت صياغة الخبر ركيكة بعيدة الأسلوب الصحفي، ويعود السبب في هذه الأخطاء إلى أن معظم المحررين العاملين في الجريدة كانوا من موظفي الدولة العثمانية الذين جلبهم الوالي مدحت باشا معه ممن لم يحسنوا اللغة العربية. وقد تداركت السلطة هذا الأمر فأناطت تحرير قسمها العربي بجماعة من رجال العلم والأدب من العراقيين ، ثم توالي على تحريرها عدد من الكتاب والأدباء، أمثال، عبد المجيد الشاوي، ومحمود شكري الالوسي، وفهمي المدرس، وجميل صدقي الزهاوي.

ويرى البعض إن (زوراء) أثناء أدارة الوالي العثماني مدحت باشا كانت صريحة تدون الوقائع ولكنها بعد ذهابه، وقد عاشت بعده سبعة وأربعين عاماً ، تغيرت لهجتها وأصابها ما أصاب الصحافة في عهد السلطان عبد الحميد من تضيق وخنق.

وتمثل أهم ما يميز جريدة الزوراء مايلي

1. أن أهمية جريدة (زوراء) تأتي من كونها أول جريدة صدرت في العراق، وما عدا ذلك فهي نشرة دعائية بمستوى فني و تحريري متدن، إذ ظهرت بشكل غير جذاب وحررت باللغة ضعيفة بعيدة عن الاسلوب الصحفي، وغلب عليها استخدام العبارات التركية حتى في القسم العربي منها.
2. ساعد الى حد ما على انتشار الصحف ومنها الزوراء في العراق تأسيس الخدمة البريدية فيه عام 1878.
3. عدها الوالي مدحت باشا ، واحدة من وسائل الاصلاح الذي ينشده ، وأداة ثقافية تعمل على نشر الوعي ، فضلاً عن كونها وسيلة لنقل

الأفكار والقوانين الحكومية ، إضافة إلى رغبته الصادقة بأن تكون هذه الصحيفة أحد العوامل المهمة في نقل مظاهر الحضارة والتقدم التي تسود العالم ومحاولته وضع الحلول للكثير من المشكلات والسلبيات التي تعيق تطور العراق.

4. تعد أول جريدة رسمية تصدر في الشرق العربي بعد الوقائع المصرية. واستمرت في الصدور إلى اليوم الذي احتل فيه الجيش البريطاني بغداد في 11أذار1917،حيث توقفت نهائياً .
5. عندما أعلن الدستور العثماني في 1908/7/23م ألغى الوالي التركي (نجم الدين ملا) القسم العربي في الزوراء بحجة وجود صحف عربية ، بيد انه يقصد منع نشر الرسائل والمطاليب الشعبية على صفحات الزوراء وعهد بتحريرها الى محررين أتراك منهم (حسن أزوم وزهير أفندي وإسماعيل أفندي وأحمد فهمي وفهمي أفندي وعباس حمدي وعبد الوهاب أفندي) وسبب هذا إحتجاج فريق من الأهليين ذوي النزعة القومية إذ طالبوا بعودة القسم العربي وفعلاً عادت الزوراء لتنشر باللغتين العربية والتركية اعتباراً من عددها 2418 في 1913/7/12م في عهد الوالي (محمد زكي) فحرر فيها كتاباً وترجمة عرب وأتراك .
6. ساهمت كل تلك الأفكار في تنوير أذهان الناس إلى الغد الأفضل ، فخلقت لدى المثقف العراقي صورة واضحة عن طبيعة الأفكار السائدة في أوربا والعالم .
7. كان لجريدة الدور الكبير في تنمية الوعي السياسي لدى المثقفين العراقيين ، فمن خلالها عرف هؤلاء الكثير من المصطلحات السياسية

التي عرفوها لأول مرة عن طريق الجريدة مثل " الجمهورية " و" الاشتراكية"

8. كما أطلعت الزوراء القارئ عن واقع التعليم في أوربا ، بمعلومات جلبت الانتباه فأن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة فيها يصل إلى (99%) ، مقابل (10%) في أوسع مدى في بلادنا.
9. استمرت لمدة48 سنة وهذا الاستمرار دليل نجاح يحسب لها.